المستوى النحوي الجزء الثالث

حذف الفاعل والبناء للمجهول (اللطف في الخطاب)

قال تعالى : ((وأما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبًا . واما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا . فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا . وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرًا)) {الكهف ٧٩-٨٢}.

لقد تأدب الخضر عليه السلام بالأدب القرآني فنسب خرق السفينة وقتل الغلام إلى نفسه فقال في خرق السفينة: ((فأردت أن أعيبها)) ،وقال في قتل الغلام : (فخشينا ...فأردنا) في حين نسب إرادة بناء الجدار واستخراج الكنز إلى الله عز وجل فقال: ((فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك)) ربك علمًا أنه كان مأمورًا من الله تعالى بهذه الأفعال بدلالة قوله تعالى : ((وما فعلته عن أمري)) .

وذهب أصحاب النظر القرآني إلى أن حذف الفاعل في باب الغضب أو الأمر بالمكروه أوبناؤه للمجهول وذكر فاعل النعمة في القرآن الكريم كقوله تعالى : ((صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)) {الفاتحة ٧} يرتبط بجوانب دلالية منها :

اولاً – إن النعمة هي الخير والفضل ، والغضب من باب الانتقام ، والرحمة تغلب الغضب ، فأضاف إلى نفسه أكمل الأمرين وأسبقهما وأقواهما ، وهذه طريقة القرآن الكريم في إسناد الخيرات والنعم لله سبحانه وتعالى وحذف الفاعل في مقابلتهما كقول مؤمن الجن : ((وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا)) { الجن ١٠} فيلحظ قوله (أشر أُريد) فبنى الفعل أريد للمجهول لأنه مع الشر في حين بناه للمعلوم مع الرشد ونسبه لله عز وجل لأنه عمل خير فقال : (أم أراد بهم ربهم رشدًا) . وقد تأدب الخضر عليه السلام بهذا الأدب .

ثانياً – إن الله سبحانه وتعالى هو المنفرد بالنعم قال تعالى : ((وما بكم من نعمة فمن الله)) {النحل ٥٣} فأضيف إليه ما هو منفرد به وإن أضيف إلى غيره فلكونه طريقاً ومجرى للنعمة . وأما الغضب على أعدائه فلا يختص به تعالى فملائكته وأنبياؤه ورسله وأولياؤه يغضبون لغضبه .

ثالثاً – إن في حذف فاعل الغضب من الإشعار بإهانة المغضوب عليه وتحقيره وتصغير شأنه ما ليس في ذكر فاعل النعمة من إكرام المنعم عليه والإشادة بذكره ورفع قدره ، فقولك هذا الذي أكرمه السلطان وأعطاه ما أعطاه وخلع عليه أبلغ في الثناء والتعظيم من قولك : هذا الذي أُكرم وخُلع عليه وشُرف.